# تعقيبات

## الأستاذ أنور المعداوي

« تحت المبضع » للأديب السوري محمد روحي فيصل :

كتاب في بضع وثمانين صفحة ، ولكنه يقدم صاحبه خير تقديم . يقدمه في معرض النقد الأدبي حين يكون للذوق المرهف أثره الملحوظ في اللمحة الفنية التي تغني عن لمحات ، وفي اللمحة الفكرية التي تهدي إلى لمسات ... أما الكتاب ، فهو « تحت المبضع » ، وأما الكاتب فهو الأستاذ محمد روحي فيصل رئيس قلم الزراعة في « حمص » .

عدة كلمات يجب أن تقال قبل أن أتقدم للأستاذ روحي فيصل بالشكر على هديته ، وقبل أن أضع مبضعه تحت المبضع ، فألتقي معه حيناً وأختلف معه حيناً آخر ... ولا بأس أبداً من أن نلتقي هنا لنفترق هناك ، ما دامت السطور الأولى من هذه الكلمة النقدية تحمل إلى القراء حكماً صادقاً وأخيراً على شخصية الكاتب فيما كتب !

وفي هذا الكتاب فصول أفردت لنقد الشعر والنثر ممثلين في مهرجان أبي العلاء ... وعودة أخرى نعود إلى فيلسوف المعرة لننظر فيما قاله الأستاذ روحي فيصل عن هؤلاء الذين اشتركوا في إحياء ذكراه ، وبخاصة تلك النخبة من الشعراء أمثال الأساتذة : عمر أبي ريشة ، وبدوي الجبل ، وشفيق جبري ، ومحمد البزم ، ومهدي الجواهري ... شعراء خمسة تقدم كل منهم إلى المهرجان بأبيات من الشعر تفاوتت في سبحات الخيال ورفات الجناح ، وكاتب يقف منهم جميعاً موقف العارض في أمانة ، المحلل في أناة ، الناقد في ثقة واحتشاد .

أول شيء أود أن أشير إليه هو تلك الكوى الفكرية التي أطلت منها رءوس الشعراء والناثرين لتنفذ إلى أغوار الشخصية العلائية ... فماذا خرجت تلك الرءوس من ذلك الفكر المسجى على فراش الأجيال والعصور ؟! أكاد أقول لا شيء ! ... لا شيء غير تلك القصة المكررة التي ترويها كتب القدامى والمحدثين ، ولا شيء غير ذلك « الفلم » الذي تعرض مناظره على « شاشة » الشعر والنثر دون أن تتجدد الزوايا الجديدة في الصور النفسية ، وكأن أبا العلاء على كثرة « المخرجين » و « المصورين » نسخة واحدة أبرز نصولها مخرج واحد ، والتقط مشاهدها مصور واحد ، وكأني كنت أمد عيني إلى مهرجان أبي العلاء ، وأرهف سمعي إلى ما يقال عنه يوم أن قلت في عدد مضى من « الرسالة » : « لو قال الباحثون عن أبي العلاء إنه إنسان قلق لعبروا عن الواقع أدق التعبير ، ولأحاطوا بكل جانب من جوانب شخصيته بهذه الكلمة الواحدة ، ولكنهم ركزوا كل عنايتهم في جانب واحد انتهوا منه إلى حكم عام ما لبث أن استقر في الأذهان ، واطمأنت إليه النفوس ؛ هذا الحكم العام محوره « التشاؤم » في شخصية الرجل وفي فلسفته على حد سواء ! — من الخطأ في رأيي أن ينسب الباحثون أبا العلاء إلى نزعة نفسية بعينها ليتفرد بها وليقف عندها لا يكاد يتعداها إلى غيرها من النزعات ؛ ذلك لأن أبا العلاء قد مال إلى التفاؤل كما مال إلى التشاؤم ، ونصح بالإقبال على الحياة كما نصح بالإعراض عن الحياة ، وآمن بالبعث كما أنكر إيمانه بهذا البعث ، وأوصى بالزهد في نعيم الدنيا كما أوصى بالإغراق في هذا النعيم ، ونادى بفكرة الزواج والنسل ، كما نادى بنبذ هذه الفكرة مقدماً من نفسه مثالاً لهذا الحرمان ! — أبو العلاء إذن لم تكن له « لافتة » واحدة « يعلن » فيها عن رأي واحد تتميز به شخصيته الفلسفية والإنسانية ، ولكنه كان أشبه بالتاجر الذي يعلن كل يوم عن « صنف » جديد من أصناف « بضاعته » عقب وروده بلحظات ! وكل تلك السطور المتناقضة يمكنك أن تضعها تحت عنوان كبير مكون من كلمة واحدة هي : القلق » !

ولقد فسرت هذا القلق على ضوء علم النفس الأدبي تفسيراً جديداً ، حيث قلت بعد كلام طويل في هذا المجال : « الفراغ في حياة أبي العلاء ، ولا شيء غير الفراغ ، وعلى هديه نلتمس العلة الأصيلة لتلك الذبذبة النفسية ممثلة في هذه الذبذبة الفكرية ... ولنا بعد ذلك أن نسأل : أي لون من ألوان الفراغ كان يشكو أبو العلاء ؟ إنها ثلاثة ألوان : فراغ النفس ، وفراغ القلب ، وفراغ الجسد ... ولك أن تردها جميعاً إلى الحرمان ، فنفس

أبى العلاء كانت تشكو الحرمان من العطف ، وقلب أبى العلاء كان يشكو الحرمان من العاطفة ، وجسد أبى العلاء كان يشكو الحرمان من المرأة ... وقف طويلا عند هـذا الحرمان الأخير ، فهو مصدر الحرمان كله ، ومركز الفراغ كله ، وعلة هذا القلق الذى وجه أبا العلاء ألف وجهة ، وحيره بين ألف رأى وعقيدة ، وقذف بعقله إلى ألف درب من دروب الفكر ، حيث يتجلى التناقض والتضارب والاختلاف ! هذا الجدب العاطفى فى القلب الإنسانى ، وهذا الكبت الطويل العنيف للغريزة الجنسية ، هما فى رأيى — ولا شىء غيرهما — مركبا النقص الخطيران فى شخصية أبى العلاء ، ولا حاجة بنا إلى الحديث عن مركب النقص وأثره فى توجيه العقول والأفكار » ! !

قلت هـذا بعد أن تعرضت لآراء الباحثين ممن وقفوا عند الآفة الجسمية فى حياة أبى العلاء مفسرين على ضوئها معالم الاضطراب فى نظراته وآرائه ... فليرجع القراء إلى ما قلت ، لأن تلك السطور التى نقلتها هنا لا تغنيهم عن البحث كاملا مترابط الفصول متماسك الأجزاء ، متسلسل النقلات ، بين النتائج والمقدمات ... تلك بالأمس ، وأعود اليوم فأذكر به ، لأن الأستاذ روحى فيصل يتفق معى فى أن خطباء المهرجان لم يأتوا بجديد حين يقول فى مقدمة كتابه : « فأما إن أبا العلاء المعرى نفسه قد استبان لنا على غير ما كنا نعرف من صورته ، فذلك لا يقوله أديب له شىء من مشاركة فى فهم الأدب على العموم ، وفى فهم الأدب العربى على الخصوص . فما شع من هذا المهرجان القبس اقتضى ضوء نظرية جديدة من شأنها أن تنير ناحية من أبى العلاء كانت مجهولة أو مظلمة ، ولا انبثق عرض شامل ينظم هذا الرجل الكبير فى شتى مجاليه » !

وأقف هنا وقفة قصيرة لأهمس فى أذن الأستاذ فيصل قائلا له : لقد كنت أرجو ألا يكون ناقداً فحسب ، وإنما كنت أرجو أن يكون ناقداً وباحثاً فى وقت معاً ... أعنى أننى كنت أود ، وقد أشار إلى هـذا الاجترار الممل فيما قيل من أبى العلاء ، أن يحاول هو من جانبه أن يضع شخصية الرجل تحت المبضع عسى أن يخرج من دراسته بنظرات جديدة . ولكن الأستاذ فيصل قد ترك أبا العلاء إلى هؤلاء الذين تحدثوا عنه من الكتاب

والشعراء ، مقتصراً على الإشارة العابرة إلى كلمات الفريق الأول ، والنقد المفصل لقصائد الفريق الأخير !

وأنتقل بعد هذه الوقفة إلى الفصول النقدية الخمسة التى أفردها الأستاذ فيصل لشعر أبى ريشة والجبل وجبرى والزم والجواهرى .

فى تلك الفصول لمسات تنبئ فى الكثير الغالب عن سلامة التقويم ، ونزاهة التقدير ، وعرض موفق للشخصية الأدبية على مدار الحقل الشعرى واتساع مداه ... هنالك حيث تبحث عن معدن الملكة الناقدة فيشع فى اللمحة الفنية التى تتنقى — كما قلت لك — من لمات ، وفى اللمسة الفكرية التى تهدى إلى لفتات ... انظر مثلا إلى هذين البيتين من قصيدة بدوى الجبل حول مشكلة الآفة الجسمية فى حياة أبى العلاء ، واحكم — بعد ذلك — على الذوق الأدبى عند روحى فيصل :

من راح يحمل فى جوانحه الضحى ... هانت عليه أشعة المصباح

وجلا للصون من الضباب فانتهى ... عبس النفوس لضجة وصياح

« فاقرأ هذين البيتين كما قرأتهما أنا ، وأعد تلاوتهما على نفسك ، وانفذ إلى مطاويهما ، وتذوق حلاوتهما ، فستجد أنك حيال لون من الشعر الجنح الجميل طالما رغبنا فى مثله ، وطالما حرضنا على أن يسحب الشعراء على ذيله . وستري عمل البيان فى الخروج بعواطف النفس إلى دنيا النور أو دنيا الضجة والصياح كما يقول البدوى ، وإنما يعجبنى البيت الأول لأن صورة « الضحى بين الجوانح » من أرق الصور وأدناها إلى الخيال وألصقها بالجمال ... ويعجبنى البيت الثانى لأن كناية « الضجة والصياح » من أروع الكنايات فى الدلالة على الكشف والإعراب » .

هنا ذوق رائع فى فهم الشعر ورفع الغطاء عن أسرار مراميه ، ولكننى أختلف مع صاحبه حين يزن هـذا البيت بميزان الأداء اللفظى فى الوقت الذى أنادى فيه بإقامة الميزان للأداء النفسى فى الشعر العربى الحديث ... يقول بدوى الجبل فى مجال الحديث عن موقع المرأة من شعور أبى العلاء :

يا ظالم التفاح فى وجناتها ... لو ذقت بعض شمائل التفاح !

ويقول روحى فيصل فى مجال التحليل والنقد : « فهنا عتاب ناعم يوجهه الشاعر لأبى العلاء فيما جنى على المرأة من نقد ، وهنا إغراء جميل على محاسن الأنوثة ، وهنا فوق ذلك ، ألفاظ خفاف

ومصرى حلو ، ونثر لطيف ، وشعور — على أنه سطحى وابتدائى وجماهيرى — لا يخلو من شيء من الإحساس بفتنة المرأة وسحر الجمال » .

معذرة إذا قلت للأستاذ فيصل : إن هذا الشعور الذى يصفه بأنه سطحى وابتدائى وجماهيرى ، هو وحده الذى أكسب بيت بدوى الجبل ذلك الأداء النفسى الذى أدعو الشعراء إلى أن يطرقوا أبوابه ... إن كلمة « لو ذقت » هى التى أوحت إلى الأستاذ فيصل بهذا الوصف ، ولكنه لو نظر إلى الظلال الفنية التى أسكنها الشاعر بناء التعبير ممثلة فى تلك الكلمة ، لتكشف له عمق الحركة النفسية فى ذلك الصدق الشعورى المنبعث من بساطة الأداء .

ولقد كنت أود أن أطيل القول فى مشكلة الأداء النفسى فى الشعر ، لولا أن هناك بحثاً يدور حول هذا الموضوع فى انتظار العرض على صفحات « الرسالة » فى الأيام المقبلة .

ويبدو لك من كتاب الأستاذ روحى فيصل أنه يفضل قصيدة عمر أبى ريشه على غيرها من الشعر الذى ألقى فى المهرجان ... وهنا أختلف معه مرة أخرى ما دام هو يضع الشعر أحياناً تحت مجهر الحركة اللفظية ، ومادمت أنا أضعه أبداً تحت مجهر الحركة النفسية . يقول أبو ريشه مثلاً :

أريد الوجود مفتهك الستر ربما أسراره عريانا
ويفض الفدام عن قلبه السمح ويجريه للعطاش دنانا
لو بلغنا ما تشتهى لرأينا الله فى نشوة الشعور عيانا

هنا معرض ألفاظ يعج بصور فكرية عادية التلوين مألوفة الأضواء ، كل ما يهزك منها هو هذا الإطار التعبيرى الذى يحيط بالصورة ، ويضفى عليها شيئاً من الجمال ، الجمال الذى يطالع الأنظار والأسماع ولا يطالع المشاعر والنفوس ! ولكن الذوق المرهف يعود إلى محرابه الأصيل عند روحى فيصل عند ما يهتز طرباً ، وأهتز معه لهذا التصوير النفسى الموفق فى هذين البيتين لمهدى الجواهرى حول قسوة القدر على حياة أبى العلاء :

على الحصير وكوز الماء يرفده وذهنه ورفوف تحمل الكتبا
أقوى على كوة فى وجهه قدر فسد بالظلمة الثقبين فاحتجبا

ولمحة أخرى للأستاذ فيصل تبلغ الغاية فى الإشراق ، لمحة أصافح عليها بقظة النقد عند هذا الناقد الذواق ... بيت من الشعر فى قصيدة عمر أبى ريشه مأخوذ من بيت آخر فى شعر شوقى ، ويشهد الله أنى وقفت عند هذا البيت ورددته إلى منبعه الأصيل وتحدثت عنه منذ عام إلى بعض إخواننا من الأدباء ، وكان ذلك يوم أن تلقيت من لبنان ذلك الديوان الجديد الذى أخرجته دار مجلة « الأديب » للشاعر أبى ريشه ، والذى حوى إلى جانب ما حوى من شعره قصيدته التى ألقاها فى مهرجان أبى العلاء ... يقول شوقى فى « مجنون ليلى » :

قد يهون العمر إلا ساعة وتهون الأرض إلا موضعا

ويقول عمر أبو ريشه :

قد تجف الحياة إلا وريدا ويضيق الوجود إلا مكانا

ويقول روحى فيصل : « ... والتقى شاعرنا مع شوقى فى بيت لا أدرى كيف أخذه فى رابعة النهار » ! ثم يسكت عن الموازنة ، تاركا الحكم للقراء ، حيث يقول : « أى البيتين أجل وأروع ؟ لا أريد أن أقطع أنا بالجواب الواضح ، فالترجيح متروك لذوقك وفطنتك ، ولفهمك فن البيان وفلسفة اللفظ ، وحسبى الآن أنى أثرت شوقك إلى البحث والموازنة ، على ضوء مزاجك وثقافتك وصراحتك » ...

سكت الأستاذ فيصل عن الموازنة ، ولكن هذا السكوت أفصح من كل كلام ... ولو كان فى المجال متسع للإفاضة لقدمت أنا إلى القراء نقداً مفصلا فى مجال الموازنة بين البيتين ، نقداً ينتهى فيه الحكم الأخير إلى هذه الكلمات :

لقد حاول أبو ريشه أن يقف من شوقى موقف سلم الخاسر من بشار فلم يبلغ شيئاً ... إن الفارق بين بيت أبى ريشه وبيت شوقى ، هو الفارق بين الخبز البلدى والتفاح الأمريكانى ! !

وتبقى بعد هذا كله كلمة أخيرة أوجهها إلى الأستاذ روحى فيصل ، وهى أن كثيراً من النقاد المتذوقين قد خلا منهم الميدان منذ أمد طويل ، وحبذا لو تفرغ للنقد الأدبى ليضم جهده إلى جهود هذه القلة التى تعمل مخلصة على سد هذا الفراغ !

## مصرع الكاتبة الأمريكية مرجريت ميتشل :

أسفت كل الأسف وأنا أطالع فى الصحف منذ أيام نبأ مصرع الكاتبة القصصية الأمريكية مرجريت ميتشل ...

ومرجريت ميتشل كما لا يخفى على القراء هي مؤلفة تلك القصة الرائعة التي قرأها الملايين وشاهدوها على الشاشة ، وأعني بها قصة « ذهب مع الريح » . إن مصدر أسفي على مصرع هذه الكاتبة العظيمة هو أنها استطاعت بقصتها تلك أن تخرج أثراً فنياً لا يمكن أن تقاس إليه آثار كاتبة أخرى مثل جورج صاند ، وأن تقدم الدليل على أن الأدب الأمريكي الحديث على تفاهته لا يخلو من الروائع ، وأن قدرة المرأة على استكناه حقائق الحياة واستكمال أدوات الفن تفوق قدرة الرجال في بعض الأحيان !

ومن دواعي الأسف أيضاً أن تختم حياة هذه الفنانة بمثل هذا الختام الذي يثير الأسى والشجن ... لقد كان من الممكن لو لم يقض القدر القاهر بانطفاء الشعلة المتوهجة في الخيال الخلاق ، أن يفيض النبع أكثر مما فاض فيظفر عشاق القصة الطويلة بأثر فني آخر يضاف إلى ذلك الأثر الوحيد الفريد ، وأعني به « ذهب مع الريح » ! مهما يكن من شيء فحسب مرجريت ميتشل أن يدرج اسمها في سجل كتاب القصة الأفذاذ بهذه التحفة اليتيمة التي كانت في حساب الفن كل رصيدها المدخر ، وإنه في ميزان النقد لرصيد عظيم ... ومهما يكن من شيء أيضاً ، فإن طريق الخلود لا يسلكه السالكون بكثرة ما قدموا إلى الناس من نتاج القرائح وعصارة الأذهان ، وإنما يسلكونه بقيمة هذا النتاج ومدى تمثيله لصور الحياة وتصويره لحقائق النفوس على اختلاف الميول والأذواق وتفاوت الأجيال والعصور . الكيف لا الكم في ميزان الفن هو وحده أساس الخلود والبقاء ؛ وإلا لما استطاع كاتب مثل بنجامان كونستان أن يأخذ مكانه في صفوف الخالدين بقصة واحدة هي أدولف تلك القصة التي قال عنها بول بورجيه : « إن أدولف لتعد مثلاً أعلى للقصة الذاتية ، ولقد بقيت من كل تلك القصص التي ظهرت في القرن التاسع عشر وهي أحفلها بالحياة ، وأكثرها إنسانية ، وأشدها أسراً للشعور ، ولا توجد قصة أخرى تهزني كما هزتني هذه القصة » ... كما قال عنها فرديناند برنتير : « إن أدولف قصة إنسانية لا يمكن أن ترقى إلى حقيقتها التحليلية قصة أخرى

ينظر بورجيه إلى الفن من ناحية القيم الإنسانية ، وينظر إليه برنتير من ناحية القيم التحليلية ، وبهذين الجناحين معاً يحلق الفن في أرحب الآفاق ، فإذا ما نال منه الجهد فهبط ليستريح فإن مكانه هناك ... في أعالي القمم ! أما الإنسانية في « ذهب مع الريح » فهي في تلك الدفقات العاطفية العميقة المنبثقة من قلب امرأة حائرة بين رجلين : رجل جدير بحبها ومع ذلك فهي لا تحبه ورجل غير جدير بهذا الحب ومع ذلك فهي تحبه ، وهكذا كان حال « سكارليت » وهي موزعة الفكر والشعور بين « أشلي » و « بتلر » ! ... وأما التحليل فهو في تلك الصفحات الزاخرة بقصف المدافع ودوي القذائف وأنات الضحايا وزفرات الثكالى وعصف الحديد ، هناك حيث تقدم مرجريت ميتشل للحرب الأهلية الأمريكية صورتين لا مثيل لهما في متاحف الفن ومتاحف التاريخ ! ...

**بعصه الرسائل مهه حقيبة البريد :**

بين يدي وأنا أكتب هذه الكلمات كثير من رسائل القراء في مصر والأقطار العربية ... أما الذين يبعثون إليّ برسائلهم معبرين عن حسن الظن وكريم التقدير فلهم خالص الشكر وعاطر التحية ، وأما أصحاب الأسئلة التي يوجهونها إلى في محيط الأدب والفن فبودي أن أوجه إلى بعضهم رجاء خاصاً ، هو أن يراعوا في أسئلتهم مدى الفائدة التي يمكن أن تعود على القارئ وهو في انتظار الجواب ؛ وذلك بأن تكون الموضوعات التي تثار جديرة بخلق قضية من القضايا الأدبية يهم القراء وضعها على بساط البحث والمناقشة .. وإلى الأعداد المقبلة حيث أتناول بالتعقيب بعض هذه الأسئلة ، ولا بأس من تسجيل الشكر في مجال الرد على بعض التحيات ...

أنور المعداوي


# إعلان

تعلن مصلحة الأموال المقررة فقد القسيمة البيضاء ١١٢ (أموال مقررة) رقم ٤٢٩٢٧٣ مجموعة حرف ب

وقد اعتبرت المصلحة هذه القسيمة لاغية ، فكل من حاول استعمالها يعرض نفسه للمحاكمة الجنائية .

٢٧٣٥